أسطورة أجاممنون
بين الشعر الملحمى والتراجيديا

أ .د . منيرة كروان
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية
كلية الآداب - جامعة القاهرة

يقول هوميروس فى السطر الأول من ملحمة " الإلياذة " محدداً بطل ملحمته :

" غنى لى ، أيتها الربة ، عن غضبه أخيليوس بن بيليوس "

فهو يذكر صراحة أن أخيليوس هو بطل ملحمته ، ولكنه رغم ذلك لايجعل منه شخصية رئيسية تحجب غيرها من الشخصيات الأخرى سواءً من الإغريق أو الطرواديين . فمن بين الإغريق نجد أجاممنون بن أتريوس يقف على قدم المساواة مع أخيليوس ، بل إنه يبرز أكثر منه فى كثير من المواقف ، ولايذكره الشاعر مطلقًا دون أن يصفه بالعديد من الصفات التى تؤكد مكانته الفريدة بين ملوك الإغريق فهو : ملك الرجال ، راعى الشعوب ، واسع الملك ، بن أتريوس القوى ، البطل بن أتريوس واسع الملك .. إلخ .

ورغم هذه الأهمية الكبيرة والمكانة البارزة التى يتمتع بها أجاممنون فى " الإلياذة " ، فإن هوميروس يكاد يتجاهل فى ملحمته الثانية " الأدويسيا " مصير أجاممنون بعد عودته من الحرب ، رغم أن " الأدويسيا " تحفل بآلاف التفاصيل عن أشياء أخرى أقل أهمية . ومن الملاحظ أن هوميروس لايذكر قصة عودة أجاممنون بالتتابع ، بل إنه فى الحقيقة لايذكرها إلا كنوع من التشبيه وضرب الأمثلة :

- فعودة أوديسيوس لوطنه تشبه عودة أجاممنون مع اختلاف الملابسات والنتائج .
- وخطاب بنيلوبى أو بنيلوبيا يعيشون فسادًا فى القصر مثلما كان يفعل

ايجستوس فى قصر أجاممنون مع اختلاف شخصية الزوجة واخلاقياتها فى الحالتين.

وفيما عدا ذلك لا نجد فى " الأوديسيا " سوى بعض الإشارات المختصرة لمقتل أجاممنون وما تلاه من أحداث :

- يصف زيوس انتقام أوريستيس بأنه انتقام عادل .
- تشير الربة أثينا إلى انتقام أوريستس لتشجيع تليماخوس .
- يحكى نستور لتليماخوس عن خداع كليتمنسترا لزوجها وانتقام أوريستيس منها .
- عندما ينزل أوديسيوس إلى العالم الآخر يقابله شبح أجاممنون ويحكى له كيف قتلته زوجته بمساعدة عشيقها وأن كاسندرا لقيت نفس المصير .

فهوميروس لايذكر إلا ما يتفق ورؤيته وليس مع المعطيات الكاملة للأسطورة وهذا ما جعله يغفل بعض التفاصيل التى ركزت عليها المصادر المتأخرة . فهو لا يؤكد إلا على ما يجعل كليتمنسترا امرأة فاسقة تخضع لنزواتها ولضعفها الأنثوى ، وما يجعل ايجستوس شريراً خسيسًا ، وما يجعل أوريستيس ابنًا باراً :

لمدة سبع سنوات كان ايجستوس يحكم مدينة موكيناى الغنية بالذهب
ولكن فى العام الثامن نزل عليه البلاء عندما عاد أوريستيس
المجيد من أثينا ، وقتل قاتل والده ، ايجستوس
الماكر ، الذى قتل والده العظيم
وبعد أن قتله ، أقام لأمه الكريهة ولايجستوس
الجبان جنازة بحضور الأرجيين
(الأوديسيا الكتاب الثالث ٣٠٤ - ٣١٠)

ولذلك فإنه يتجنب ذكر جريمة أتريوس النكراء فى حق شقيقه وإلا كان مقتل أجاممنون مقبولاً باعتباره نوعًا من الجزاء العادل أو القصاص المقبول ، كما لا يذكر شيئًا عن تضحية أجاممنون بابنته افيجينيا ، لأن ذكرها كان سيشكل عذراً

مقبولاً لكليتمنسترا إلى جانب خيانتها .

بل إنه يؤكد فى " الإلياذة " أن افيجينيا كانت ماتزال على قيد الحياة حتى السنة العاشرة من حصار طروادة . فبعد مرور عشر سنوات على اندلاع الحرب وبعد تفجر الخلاف بين أجاممنون وأخيليوس وانسحاب الأخير من الحرب ، يحاول أجاممنون أن يسترضيه ويبعث إليه مجموعة من قادة الإغريق يعرضون عليه - ضمن أشياء أخرى - أن يتزوج إحدى بناته :

فمن بين بناتى الثلاث خريسوثيميس
ولأوديكى وأفياناسا(*) الموجودات فى قصرى المنيع
فليأخذ من تروق له إلى قصر بيليوس
دون أن يقدم هدايا زواج
وسوف أمنحه كبائنه هدايا لم يمنحها أب لابنته قط

(الكتاب التاسع - ١٤٨)

ولكن أخيليوس يرفض عرض أجاممنون قائلاً :

لن أتزوج أبداً ابنة أجاممنون بن أتريوس
حتى لو كانت تنافس أفروديتا ، ذهبية الشعر ، فى الجمال

يعتقد فريق لايستهان به من العلماء ، وعلى رأسهم لاتيمور R. Lattmore إن قصة غضب الربة أرتميس من أجاممنون وتعطيلها للأسطول الإغريقى فى أوليس حتى يقدم لها ابنته افيجينيا ، هى رواية متأخرة للأسطورة ظهرت بعد " الإلياذة " أن لم يكن بعد عصر هوميروس كله :

it appear to be post-Iliad, if not Post-homeric (١)

بينما يرجح آخرون إنها حتى لو كانت ضمن الموروث الأسطورى المعروف

(*) أفيانسا Iphianassa :

كما يقول قاموس Liddle and Scott هى افيجينيا ابنه أجاممنون، ولقد استخدم هوميروس هذا الأسم بينما شاع استخدام اسم افيجينيا فى التراجيديا .

زمن هوميروس ، فقد كان لزامًا عليه أن يتجاهلها لإنها لا تتفق مع رؤيته التى يريد إيصالها للمستمعين، على الأقل فى هاتين الملحمتين، ويؤكدون أن شكل ملحمتى هوميروس ، أو " الإلياذة " على الأقل ، توحى بأن ناظمها كان ينوى أن يتبعها بمجموعة من الملاحم أو الأشعار التى تحكى القصة كاملة . وهى المجموعة التى عُرفت فيما بعد باسم " الحلقة الملحمية " (epikos kyklos) ومن ضمنها الملحمة " القبرصية " (kypria) والتى تبدأ من قرار الآلهة بدء الحرب الطروادية وحتي نشوب الخلاف بين أخيليوس وأجاممنون وينسبها البعض لهوميروس بينما ينسبها البعض الآخر لهجيسياس (Hegesias) أو ستاسينوس (Stasinos) من قبرص[٢].

ومن بين المصادر المتأخرة التى تذكر ذبح أجاممنون لابنته أشعار الشاعر الغنائى بندار الذى يتعرض لقصة أجاممنون ومصيره بعد عودته من الحرب الطروادية ويطرح أسباب قتل كليتمنسترا له قائلاً :

هل هى افيجينيا التى قُتلت بعيدًا
عن الوطن ، عند عبور البوغاز (المضيق ، القناة)
أم هو النوم طوال الليل فى فراش
غريب هو ما أفقدها صوابها وفجر غضبها
(البيثية ١١ ، ٢٢ - ٢٥)

ولأنه سبق وأشار إلى مقتل كاسندرا أيضًا على يد كليتمنسترا فإننا نشعر أنه يحاول أن يفسر مقتل أجاممنون إما بسبب غضب كليتمنسترا منه لذبحه ابنتها أو لأن كليتمنسترا كانت تخونه أو بسبب غيرة كليتمنسترا من الأسيرة الصغيرة كاسندرا[٣] . بينما نجد أن أيسخولوس ، الشاعر التراجيدى ، يحذف " أو " ويتعامل مع الأسباب الثلاثة مجتمعة باعتبارها الدافع للقتل.

وهو ما يجعلنا نتجه بأنظارنا للتراجيديا الإغريقية لنرى كيف عالج شعراء التراجيديا أسطورة مقتل أجاممنون ؟ وهل اختلفت معالجة كل شاعر عن رفاقه :

١ - أيسخولوس : ثلاثية " الأورستيا " :

استمد شعراء التراجيديا مادة مسرحياتهم ، كما هو معروف ، من الأساطير. أى أنهم لم يكونوا أحراراً فى خلق مادتهم الأسطورية ، ولكنهم تمتعوا بقدر من الحرية يتمثل فى اختيارهم لرواية محددة من الروايات المتعددة للأسطورة الواحدة ، كما كانت لديهم حرية التركيز على تفاصيل محددة فى الأسطورة ، وإهمال البعض الآخر أو إعطاء إحدي الشخصيات مكانة أكثر أهمية عند معالجتهم التراجيدية للأسطورة بما يتفق ورؤيتهم وهدفهم من تناول أسطورة معينة بالتحديد .

فى قمة نضجه الفنى (عام ٤٥٨ أو ٤٥٧) قدم أيسخولوس ثلاثية " الأوريستيا " التى تتناول مصير أجاممنون بعد عودته من الحرب وانتقام أوريستيس له بقتله أمه وعشيقها .

ولا تهتم ثلاثية " الأوريستيا " بمسألة " الصواب " و " الخطأ " وإن كانت أحد الجوانب التى تدخل فى تركيبتها ولكنها تركز على فكرة توارث اللعنة على منزل أتريوس ودورة الجريمة والعقاب .

ويكمن الاختلاف الأساسى بين أيسخولوس وهوميروس في التناول العام للأسطورة وليس فى التفاصيل فقط :

فالحارس الذى يقف على سطح قصر أجاممنون يتحدث عما يحدث داخل القصر الذى لم تعد الفضيلة تحكمه كما كان فى السابق إشارةً لخيانة كليتمنسترا لزوجها (١٨ - ١٩) ولكنه يشير بعدها مباشرة إلى مقتل افيجينيا ، الابنة االتى يجب الانتقام لها والتى تسبب قتلها فى ظهور الغضب المخادع ، ولكنه يربط ذلك كله باللعنة التى حلت من قبل على منزل أتريوس (٢١٨ - ٢٣٧)[٤].

وكأن عملية ذبح أفيجينيا التى تجنب هوميروس ذكرها أو بتعبير أدق رفضها والتى أكد عليها بندار كانت واحدة من سلسلة الأحداث الحتمية لتتحقق اللعنة على نسل أتريوس .

يقول الكورس :

إن الجريمة القديمة تثمر
عادة من خلال أفعال البشر المشينة
جريمة جديدة ، طال الوقت أم قصر .
ففى تلك البيوت تلد
المصائب السوداء نسلاً يشبهها (٧٦٤ - ٧٧٠)

ويفتح أيسخولوس ملف الجرائم القديمة التى تجنب هوميروس ذكرها ، جرائم كل من أتريوس وشقيقه . فتقول كاسندرا عن قصر أجاممنون :

إنه منزل تكرهه الآلهة ، فقد رأى
الكثير من جرائم القتل وتمزيق الأشلاء
ولونت أرضيته دماء القتلى (١٠٩٠ - ١٠٩٢) .

ويقول الكورس :

لقد منحت الآلهة المباركة هذا الرجل
شرف تدمير مدينة بريام
وها هو يعود إلى منزله محاطًا بتكريم الآلهة
والآن ، يجب أن يموت من أجل الآخرين الذين قُتلوا
فبسبب أولئك الذين ماتوا يموت آخرون (١٣٣٥ - ١٣٤٠)

وبعد كلمات الكورس مباشرةً نسمع صوت استغاثة أجاممنون ثم تخرج كليتمنسترا وقد تناثرت علي جسدها دماء أجاممنون وكاسندرا فانعشت روحها كما ينتعش النبات عندما يسقط عليه المطر ، على حد قولها ، وتعلن بثبات ورباطة جأش عن قتلها أجاممنون وكاسندرا والذى تعتبره تصحيحًا للأوضاع .. أو جزاءً وفاقًا لما فعل من قبل :

لقد ملأ كأسنا بكثير من الأشياء البشعة
وها هو قد عاد للمنزل ليشرب نفس الكأس (١٣٩٧ - ١٣٩٨)

ورغم أنها تعنى " بالأشياء البشعة " قتل افيجينيا ، وتركها عشر سنوات

وحيدة من أجل مجده العسكرى والسياسى ، وحبه لكاسندرا ، يتغنى الكورس فى بكائيته التالية بالروح الشريرة التى حلت على نسل تنتالوس :

تلك الروح الكريهة التى تلازم هذا البيت
فهى تتغذى على رغبة دفينة
لمزيد من الدماء ، وقبل أن يندمل
الجرح القديم ، يظهر جرح آخر جديد (١٤٧٦ - ١٤٨٠)

فالجريمة الأولى التى ارتكبها تنتالوس هى التى أدارت تلك العجلة الجهنمية عجلة الجريمة والعقاب ، فالجريمة يقابلها انتقام يتمثل فى جريمة جديدة وهكذا حتى تشأ الآلهة وتصفح وترفع لعنتها عن هذا البيت . لذلك يعود أوريستيس فى المسرحية الثانية من الثلاثية (حاملات القرابين) وينتقم لابيه ويقتل أمه وعشيقها ، وعندما تطارده ربات العذاب (اللائى لم يشر إليهن هوميروس أبداً) تُعقد له محاكمة فى الأريوباجوس وتتم تبرئته بعد دفاع أبوللو وتدخل الربة أثينا

لقد نجح أيسخولوس فى إشعار المتفرج بوجود دائرتين متداخلتين تؤثران فى الحدث الدرامى : دائرة اللعنة المتوارثة ودائرة الجريمة والعقاب وأنه لا تعارض مطلقًا بين الدائرتين ففى ظل اللعنة المتوارثة (الدائرة الكبرى) ، فإن كل من يرتكب جريمة من هذا النسل الملعون ينال عقابه (الدائرة الصغرى) .

فكل دائرة تؤثر فى الأخرى وتتأثر بها وتتحكم فى الدائرتين معًا إرادة زيوس كبير الآلهة الذى يتحكم فى كل ما يحدث للبشر من خير أو شر .

٢ - سوفوكليس : مسرحية اليكترا " :

يُقال دائمًا فى أواسط الكلاسيكيين إن مسرحية " اليكترا " لسوفوكليس هى ، من بين المعالجات التراجيدية ، الأكثر قربًا من رواية هوميروس[٥] .

فمن حيث الخط الرئيسى للأسطورة يبدو أن سوفوكليس يتناول القصة مثلما تناولها هوميروس : مجرد قصة انتقام ليس لها عواقب دينية أو نفسية .

ولكن البعض يجد صعوبة فى تصور أن معالجة سوفوكليس كانت بهذا القدر من التبسيط.

لقد قدم أيسخولوس ثلاثية " الأوريستيا " قبل حوالى ٤٥ عامًا من تقديم سوفوكليس لمسرحية " اليكترا " مؤكدًا بالضبط على كل ما استبعده هوميروس من الأسطورة ، ولقد نجحت الثلاثية نجاحًا ساحقًا . فهل من الممكن أن يعود سوفوكليس لتناول نفس الأسطورة دون أن يضيف تفسيره ورؤيته الشخصية ؟ .

فى نهاية ثلاثية " الأوريستيا " تستقر دعائم عدالة المدينة الدولة المستنيرة وذلك بعد المصالحة بين ربات العذاب ، حاميات العدالة القبلية ، وآلهة الأوليمبوس ، آلهة المدينة الدولة التى كانت تمثل الحضارة بجناحيها الضروريين : العدالة والقانون، فالصراع فى الجزء الأخير من الثلاثية يمثل الصراع بين قانون الدم القديم الداعى للانتقام وبين العدالة المستنيرة التى يجب توافرها فى أى مجتمع متحضر ، وتتحول " الإيرينيات " ربات العذاب والانتقام إلى حاميات لذلك النظام الاجتماعى الجديد الذى يقوم على أساس العدالة[٦] .

ولهذا السبب - كما اتصور - استبعد سوفوكليس الإله أبوللو سواء كوجود مادى على المسرح (لم يظهر الإله فى مسرحية سوفوكليس مثلما ظهر فى مسرحيتى أيسخولوس ويوريبيديس) أو كمؤثر على سير الأحداث ، فلا توجد سوى إشارات قليلة مقتضبة لدور الإله نشعر فى واحدة منها أن اهتمام الإله الأكبر كان منصبًا على طريقة الانتقام أكثر من اهتمامه بمدى مشروعيته .

يقول أوريستيس :

وعندما ذهبتُ إلى مكان العرافة بيثو

لأعرف هل سأنتقم

من قتله والدى ، الذين ارتكبوا هذا الجرم ،

أخبرنى فويبوس بهذه الكلمات :

" لا تأخذ سيفًا ولا درعًا ولا حشدًا من البشر

ولكن اذهب بمفردك ، ولتجعل مهارة

اليد وسيلتك فى القتل ، بعدالة ، ولكن فى الخفاء . (٣٣ - ٣٧)

ومن العجيب أن الإشارة الثانية للإله أبوللو تأتى على لسان كليتمنسترا . فمن بين آلهة الإغريق الكثر لا تتضرع كليتمنسترا سوى للإله أبوللو عندما ترى حلمًا يمكن تفسيره على وجهين أو بمعنين : خيراً وشراً (حسب تعبيرها) .

ويختلف الحلم عند سوفوكليس عنه عند أيسخولوس وذلك لاختلاف رؤية كل منهما لعملية انتقام أوريستيس . فالحلم عند أيسخولوس عنيف ومفزع : فقد رأت كليتمنسترا فيما يرى النائم أنها قد ولدت حية سامة ، وحينما حاولت إرضاعها لدغتها وأسالت الدماء من صدرها (حاملات القرابين ٥٢٣ - ٥٣٣) ، بينما يفيض الحلم عند سوفوكليس بالشاعرية والرومانسية: فقد رأت كليتمنسترا فى منامها أن أجاممنون عاد للحياة مرة أخرى ، وحين غرس صولجانه فى الأرض أينع كشجرة مباركة زُرعت فى أرض خصبة وانتشرت الخضرة فى كل مكان حتى غطت موكيناى كلها (اليكترا ٤١٧ - ٤٢٣) .

فانتقام أوريستيس كما يظهر عند سوفوكليس انتقام عادل (بمقاييس عدالة المدينة الدولة المستنيرة) ولذلك لا يتطلب الأمر ذهابه للتطهر من دنس دم الأم الذى أريق على يديه (مثلما نجد عند أيسخولوس)، لذلك يركز الشاعر على خيانة كليتمنسترا و فسوقها (٢٦٥ ، ٥٦٠، ٥٨٥) ويدافع - على لسان اليكترا - عن أجاممنون ويؤكد أنه كان مرغمًا على التضحية بابنته من أجل إنقاذ الحملة (٥٨٠) ويُذكر لأول مرة فى التراجيديا واحد من الأسباب التى فسرت بها المصادر المتأخرة غضب الربة ارتميس من أجاممنون(*) (٥٧٠ وما يليه) .

(*) تقول اليكترا إن والدها - كما قيل لها - ذهب فى رحلة صيد ولمح ظبيًا قويًا وسمينًا فقرر صيده ، لكن الظبى فائق السرعة هرب منه ودخل منطقة مقدسة للربة ارتميس . فأطلق أجاممنون سهمًا على الظبى فأرداه قتيلاً ، فافتقدته لذة النصر عقله فصاح بغرور أن ربة الصيد نفسها لا تستطيع أن تحقق ذلك النصر ، فغضبت الربة منه عندما سمعت ذلك وقررت معاقبته . لمزيد من الأسباب ، انظر : د. عبد المعطى شعراوى : الأساطير الإغريقية ، الجزء الأول ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩

واتساقًا مع سياق الأحداث طوال سطور المسرحية يغنى الكورس فى نهايتها مؤكدًا أن الأمور قد وُضعت فى نصابها الصحيح بقتل كليتمنسترا وايجستوس ، إذ يقول :

كم عانيت من المتاعب
يا نسل أتريوس ، قبل أن تصل بصعوبة
إلى حريتك التى اكتملت بما حدث اليوم (١٥٠٨ - ١٥١٠)

لقد تبنى سوفوكليس رواية هوميروس لقصة انتقام أوريستيس من قتله والده لأن همه الأكبر كشاعر تراجيدى متميز كان تسليط الضوء على شخصياته الإنسانية . فكما هو معروف لم يهتم سوفوكليس بمعالجة قضايا الدين والأخلاق ولكنه كان مهمومًا بالنفس البشرية في المقام الأول[٧] . ولذلك نجد أن بنية مسرحية " اليكترا" وحبكتها وترتيب مشاهدها كانت موظفة من أجل غرض رئيسى هو رسم ملامح شخصيات تلك الأسطورة : الأم القاسية التى يتملكها الخوف من انتقام الابن ، أوريستس الذى لا لون لشخصيته ولا معالم ، ولكنه يتميز بالحرص ، الأخت التى تتمتع بالعقل ولكنها لا تتمتع بأى قدر من الجاذبية ، ايجستوس ذلك البهيمى الفظ ، ثم البطلة اليكترا التى سُميت المسرحية باسمها عن حق ، والتى تعمل كل شخصيات المسرحية على توضيح صورتها أو إضافة ظل جديد يسهم فى توضيح معالم صورتها .

فاليكترا سوفوكليس لا تتحدث عن نفسها ولا تكشف خبايا نفسها وخصائص شخصيتها مثلما تفعل اليكترا يوريبيديس ، ولكن الآخرون هم الذين يفعلون ذلك عندما يتعاملون معها ، ويعتقد D. Grene أن سوفوكليس تعمد ألا يصور اليكترا كشخصية حقيقية فى حد ذاتها ولكنه قصد تصويرها كمجموعة من ردود الفعل أو الاستجابات لتصرفات الآخرين وأقوالهم (سواء كانت حقيقية أو كاذبة مثل خبر موت أوريستس)[٨] .

لقد ساعدت بساطة القصة - قصة انتقام أوريستيس - سوفوكليس على أن

يكرس جل جهده فى رسم الشخصية وهو ما برع فيه شاعرنا حتى بذ غيره من شعراء التراجيديا ولذلك، فليس من المستغرب - أن مسرحية "أليكترا" كانت من بين مسرحيات سوفوكليس الأكثر شعبية لدى النقاد والقراء فى العصر السكندرى وأنها تأتى على رأس المسرحيات الكلاسيكية التى يعاد عرضها فى المسارح اليونانية والعالمية حاليًا .

٣ - يوريبيديس : مسرحية " أوريستيس " :

من المعروف أن يوريبيديس قدم العديد من المسرحيات التى تدور حول أسطورة الحرب الطروادية ومصير أبطالها (بل أن ٩ مسرحيات من الـ ١٧ مسرحية الباقية تدور حول هذه الأسطورة) ، وكان آخرها مسرحية " أوريستيس " التى قدمها عام ٤٠٨ ق.م. أي قبل عام واحد من تركه أثينا نافيًا نفسه بإرادته إلى مقدونيا ، حيث عاش يتملكه الألم بعد أن زال عنه الأمل الكاذب فى إصلاح وطنه .. وما هى إلا شهور قليلة وأسلم الروح فى عام ٤٠٦ ق.م.

ورغم أن النقاد يكادون يجمعون على أن هذه المسرحية من أكثر مسرحيات يوريبيديس التى لا تستحق القراء[٩]، فقد حاول بعض الدارسين أن يستخلصوا منها ما يشير إلى إحساس - أو تنبؤ - الشاعر بالسقوط النهائى لأثينا وبلاد اليونان التى كان الإنسان المتحضر يفخر بالانتساب إليها فى يوم من الأيام .

ومن المعروف أن يوريبيديس كان بارعًا فى استغلال الرموز الأسطورية والقيم التراثية فى نقد الحياة المعاصرة ، وكان أمهر شعراء التراجيديا فى انتزاع الأسطورة من سياقها الحضارى الذى يتناول الماضى البعيد ليطوعها ويدخل بها إلى العالم المعاصر[١٠] .

تبدأ المسرحية وقد مرت ستة أيام على قتل أوريستيس لأمه وعشيقها انتقامًا لأبيه ، وفى نص يوريبيديس الكثير من نقاط الالتقاء مع نص أيسخولوس ، ولكن شتان ما بين المعالجتين.

فمن حيث نقاط الالتقاء :

- يؤكـد نص يوربيـديس على دور اللعـنة المتـوارثة على هذا المنزل ويعـدد جرائم أفـراده بدءً من تنتالوس ومـرورًا ببيلوبس ثم أتريوس وشـقيـقه ، وتتم هذه الإشارات على لسان كل من الكورس (٨٠٥ ومـا يليه ، ٩٨٥ ، ١٠١٠) واليكترا (٥ - ١٧ ، ٨٠٥ وما يليه) آخر هذه السلالة الملعونة .

- تشير المسرحية إلى تقديم أجاممنون لابنته افيجينيا قربانًا للربة أرتميس حتى تبعث بالريـاح التى تحـرك الأسطول (٦٥٧ ومـا يليـه) كـمـا يـؤكـد على فـسق كليتمنسترا وخيانتها لزوجها (٢٥ - ٢٧ ، ٥٧٥ - ٥٧٧) .

- وعلى عكس ما حـدث من اختفاء الإله أبوللو فى مـسرحية سـوفوكليس يظهـر الإله فى مـسـرحـية يـوربيديس مثلـما ظهـر فى الجـزء الأخـيـر من ثلاثيـة أيسخولوس وأكد - مثل باقى الشخصيات - أنه هو الذى أمر أوريستيس بقتل أمه إنتقامًا لأبيه .

ورغم نقاط الاتفاق هذه ، فإن المعالجة اليوربيدية للأسطورة مختلفة تمامًا عن معالجة سابقيه وخاصة أيسخولويس ، وهو اختلاف لا يخلو من المدلول :

- نشـعر من خـلال سطور المسـرحيـة وأحداثهـا أن الهـالة الأسطورية التى كانـت تحيط بانتـقام أوريسـتيس لأبيـه (من هوميـروس وحتى سـوفوكليـس) قد سـقطت تمامًـا ، بالرغم من التـأكـيـد على أن الأمـر بالقـتل جـاء من أحـد الآلهـة (أبوللو). وذلك من خلال :

أ - نغـمـة الندم التى يكـتسـى بهـا حديـث كل من اليكتـرا وأوريسـتـيس ووصفهما هما شخصيًـا قتل أمهما بأنه جريمة بشعة (١٠٥ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٣٩٥ ، ٦٤٦ ، ٦٨٥) .

ب - التأكـيد على مـوقف شعب مـدينة أرجوس المعـادى، والذى يتجـسد بعقد جلسة للشعب يُصدر فيـها حكمه على أوريستيس واليكترا بالموت (٨٥٦) . لقد تحـول انتقـام أوريسـتيس البطولى إلى جريمة مـدنية يُحاكم مـرتكبهـا باعتـباره خارجًـا على نظام المجتمع بعـد أن استقـرت دعائم عدالة المدينة الدولة المسـتنيرة ،

لذلك يعنف تينداريوس ، والد كليتمنسترا ، أوريستيس قائلاً إنه كان يجب عليه أن يقدم أمه للمحاكمة عندما قتلت أباه بدلاً من أن يقتص منها بنفسه ويقتلها (٤٩٥ وما يليه) .

- يعطى يوريبيديس أهمية كبرى لشخصية بيلاديس ، صديق أوريستيس ، التى تجاهلها سوفوكليس تمامًا ، ولم يجعله أيسخولوس ينطق أكثر من ثلاثة سطور . فهو الذى يقترح على أوريستيس فكرة قتل هيلين (١١٠٠ وما يليه) وهى الخطة التى تكملها اليكترا بفكرة أخذ هرميونى (ابنة هيلين) رهينة لضمان خروجهم من أرجوس سالمين ، وهو ما جعل بعض النقاد يصفونها بأنها قطعة من الشر الكامل[١١] . وهى الخطة التى تظهر أيضًا طبيعة أوريستيس : فهو يتصرف كإنسان وحشى يتصف بالضعف والجبن .

ففى النصف الأول من المسرحية سمح يوريبيديس لبطله أن يستفيد من شهرته البطولية ، فيما عدا بعض الهنات التى سمحت لطبيعته المتوحشة أن تظهر . ولكن فجأة ، ومع قرار قتل هيلين وأخذ هرميونى رهينة يظهر واضحًا أن القتل كان فى صدره دائمًا ، فهذه الأفعال لم يأمر بها إله من الآلهة ولكنها تولدت داخل نفسه بسبب اليأس والضغينة وتدريجيًا يظهر فساده وجبنه . فالشاب الذى تهكم على أمه واتهمها بالجبن لأنها لم تنتحر عندما خانت والده، يرتكب الآن وبإرادته جريمتا قتل أخريين لينقذ حياته ، كما يلعب لعبة القط والفأر مع عبد ضعيف لا حول له ولا قوة وهو الذى عاير مينيلاوس من قبل متهمًا إياه بالجبن .

- تُظهر المسرحية مدى تأثر يوريبيديس بالسوفسطائيين وذلك من خلال تقديم كل من الشخصيتين المتصارعتين حججًا عقلية شديدة الإقناع . إذ كان أحد أسس التعاليم السوفسطائية أن كل شىء فى الدنيا له وجهان وبالتالى فقد ينشأ حوله رأيان كلاهما صحيح، وكانت الخطابة وسيلتهم لإثبات صحة كلا الرأيين[١٢] (وهو ما يتجسد في الحوار بين أوريستيس وجده لأمه تينداريوس)[١٣] .
لقد سيطر العنصر الخطابى على مسرحيات يوريبيديس ، وعلى الرغم من أن ذلك

أثقل على البنية الدرامية للمسرحية وأتي فى كثير من الأحيان على حساب رسم شخصياته المأساوية ، فقد كان متفقًا مع السياق الحضارى لمدينة أثينا فى نهاية القرن الخامس ق . م .

- رغم إشارة بعض شخصيات المسرحية "للإيرينيات" أو ربات العذاب ، فإن وصف مطاردتهن لأوريستيس لا تعدو أن تكون وصفًا لنوع من الحمى التى تصيب صاحبها بالهلاوس والهذيان أو وصفًا لمرارة الشعور بالندم وتأنيب الضمير.

لقد تحول أوريستيس من بطل أسطورى ارتفعت هامته حتي طالت السماء إلى إنسان مجرم يشعر بالخزى من جريمته ويطارده إحساسه بالندم حتى يمرض خياله .

- يجمع النقاد على أنه لا توجد مسرحية إغريقية - من المسرحيات الباقية - يكون الجزء الأخير فيها منفصلاً بل متعارضًا تمامًا مع باقى السياق مثلما نجد فى مسرحية "أوريستيس". كما لا نجد فى غيرها من المسرحيات أن مستقبل الشخصيات منقطع الصلة تمامًا بل يتعارض مع ما كانوا عليه طوال المسرحية .

ففى نهاية المسرحية يظهر الإله أبوللو - الذى يفتقد كل مقومات الألوهية فى رأى النقاد المحدثين[١٤] - ليعلن أن أوريستيس سيتزوج هرميونى ، وبيلاديس سيتزوج اليكترا ويعيش فى سعادة ، وأن هيلين (فارغة العقل ، التافهة ، عديمة الكياسة ، كما تظهر فى المسرحية) سوف تتحول ، ويا للعجب ، إلى نجمة تهدى البحارة !!.

فكيف نفهم هذا ؟

لقد وضع يوربيديس هنا ، وكما يفعل كثيرًا ، نوعين معارضين من الواقع جنبًا إلى جنب : الواقع الأسطورى والواقع الدرامى .. ويترك الواقعين دون جسر يربط بينهما ودون تفسير ، بل ودون حل . إن ظهور الإله من الآلة (وهى الحيلة الدرامية التى اشتهر بها يوربيديس) لا ينفى بل يؤكد عدم إمكانية وجود حل ، وأن

الإله نفسه لا يستطيع أن يوقف اندفاع هذه القوى فى سيرها المحتوم نحو الكارثة ، وهو ما يؤكده الرمز فى المشهد الأخير قبل ظهور الإله عندما يقف أوريستيس فى مشهد يشبه الكابوس فى مرارته مهدداً هرميونى بالذبح وقد وضع سيفه بالفعل على رقبتها بينما تقف اليكترا ممسكة بالمشاعل وعلى وشك اضرام النيران فى القصر، حتى يشاركهما في السقوط ضحية بريئة بل والقصر كله .

وهنا نذكر أنفسنا أن يوربيديس قدم هذه المسرحية قبل عام واحد فقط من وصوله إلى قمة اليأس وتركه أثينا ليقيم فى مقدونيا شهوراً قليلة ، توقف بعدها قلبه الممرور عن الخفقان .... ربما احتجاجًا على سقوط الوطن .

الهوامش

١ - Lattimore, R ; lntrod. to Iliad, p. 24 .

٢ - Ibid, p. 26 - 7 .

٣ - Finley, J.H.: pindar and Aeschylus, p. 162 .

- يعتقد أن بنودار كان يعرف محتوى ثلاثية " الأوريستيا " وربما اتيحت له مشاهدتها .

٤ - دارت مناقشات عديدة حول قرار أجاممنون التضحية بابنته وهل كان مجبراً عليه أم أقدم عليه باختياره . لمزيد من التفاصيل انظر :

Lesky, A. : "Decision and Responsibility in the Tragedy of Aeschylus " IHS, 1966, Said, S : La Faulte Tragique Paris , 1978, Euben, p. : The Tragedy of Political Theory 1999 .

٥ - Grene, D. : Introd. to Electra, p. 328 .

٦ - روبرت ليتمان : التجربة الإغريقية ، ترجمة د. منيرة كروان ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

٧ - د. أحمد عتمان : الأدب الإغريقى، تراثًا إنسانيًا وعالميًا ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ٢٠٠١، ص ٣٢٧ .

٨ - Grene. D: Introd . To Electra, p. 329 .

٩ - Arrowsmith, W : Introd. to Orestes, p. 186 .

- ولكنه يرى إننا يجب ألا نحكم عليـها بنفس المقاييس الفنيـة التى نحكم بها على مسرحيات سوفوكليس ، عندئذ سوف نتمكن من تذوقها والاستمتاع بها .

١٠ - وهو ما يفـعله فى كثير من المسـرحيات الأخـرى التى تتناول أسطورة الحرب الطروادية مثل "الطروادیات " و " اندروماخى " .

- لمزيد من المعلومـات انظر : د. أحمد عـتمان : المـرجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ . د. منيرة كروان : تأملات فى الأدب الإغريقى ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

١١ - Arrowsmith, W : Op.Cit., p. 188 .

١٢ - د. أحمد عتمان ، المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

١٣ - Eurip : Orest, 491 - 629 .

١٤ - Arrowsmith, W : Op.Cit, p. 190 . "as a previous translaor shrewdly remarks : Apollo speaks with the voic of a cracked phonograph - record ".